

التغيير في معنى المفرد والجمع في القرآن الكريم

Achmad Abubakar¹, Baso Pallawagau², M. Taufiq Hidayat Pabbajah³

^{1,2}Universitas Islam Negeri Alauddin Makassar, ³IAIN Parepare

Email: 1achmad.abubakar@uin-alauddin.ac.id, 2baso.pallawagau@uin-alauddin.ac.id,

3adampabbajah@iainpare.ac.id

(Submitted: 07-05-2021, Accepted: 24-06-2021)

ملخص

حاولت هذه الدراسة الكشف عن أسرار استعمال المفرد والجمع في غير معناهما الأصلي في القرآن الكريم، وتتكون قضية هذه الدراسة مجيئ استعمال المفرد والجمع في غير معناهما الأصلي في القرآن الكريم، والأسرار البلاغية في مجيء المفرد والجمع خارجاً عن معناهما الأصلي في القرآن الكريم وأما نوع البحث المستخدم في هذه الدراسة فهو البحث الوصفي النوعي وطريقة جمع البيانات من خلال الدراسة الوثائقية لأنها من ضمن البحوث المكتبية، وتحليل البيانات عن طريقة تحليل فني بلاغي على أساس المنطق الاستقرائي. ونتيجة البحث تشير إلى مجيئ استعمال المفرد والجمع في غير معناهما الأصلي في عدة آيات قرآنية؛ لأن التنوع في استعمال المفرد والجمع يؤدي وظائف أساسية في الخطاب القرآني. الأسرار البلاغية أو الدلالات البلاغية في استعمال الجمع عن المثني والمفرد تأتي للتعميم، والمبالغة، والتكثير والتعظيم واستعمال المفرد عن الجمع يفيد التقليل والتصغير والتحقير والتوبيخ، وقد يفيد المبالغة والإيجاز ورعاية الفاصلة. والمستفاد من هذه الدراسة نلاحظ أن القرآن الكريم يتوجه بالمتلقي إلى التأثير السريع والمباشر، وهذا منسجم مع الفكرة الإنسانية التي يخاطبها ليخدم الهدف من تنزيله من عند رب كريم رؤوف بعباده يهدف إلى هدايتهم للإيمان والتصديق بأقصر الطرق.

الكلمات المفتاحية: استعمال الجمع; استعمال المفرد; الأسرار البلاغية

Abstract

This study aims to uncover the wisdom of using singular (*mufrad*) and plural (*jamak*) words that violate its original meaning. The research problem consists of two questions: what are the use of singular and plural words that violate the original meaning of the Qur'an? What is the wisdom and secret behind the use of singular and plural words that violate its original meaning in the Qur'an? The type of research is qualitative descriptive, the data collection method is library research and the data analysis used language arts (*balaqhah*) analysis. The results show that the use of singular and plural words that violate its original meaning is found in the Qur'anic clauses. The variety use of singular and plural is a fundamental function of the Quranic language. The wisdoms and connotations *balaqhah*, the use of plural mean *mutasanna'* (two) and singular denote common, exaggerated (*hyperbola*), many, and admirable meanings, whereas the use of a single word meaning plural indicates little, contempt, ostracize, humiliation, ridicule or criticisms and sometimes indicate excessive, concise and adaptable meaning. The implication of this study is that the Qur'an has a direct effect on its readers and listeners. This is in line with the human mind as the target, to implement the purpose of the Qur'an revealed by Allah SWT, to give guidance to people so they can quickly believe.

Keywords: *Isti'mālu al-Jam'I; Isti'malu al-Mufradi; al-Asrār Al-Balāgiyyah.*

المقدمة

الأصل في اللغة العربية دلالة كل لفظ على ما وضع له، فيدل المفرد على واحد أو واحدة والمثنى على اثنين أو اثنتين والجمع على أكثر من اثنين¹.

وقد يخرج عن هذا الأصل في الاستعمال، قال أبو عبيدة: "ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختُصِر، ومجاز ما حُذِف، ومجاز ما كُفَّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد إذا أُشْرِك بينه وبين آخر مفرد، ومجاز ما حُبِّر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للواحد أو للجميع وكُفَّ عن خبر الآخر، ومجاز ما حُبِّر عن اثنين أو أكثر من ذلك، فجعل الخبر للأول منهما، ومجاز ما حُبِّر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للأخر منهما،.... وكل هذا جائز قد تكلموا به"².

وإذا نظرنا إلى قول ابن قتيبة وأبي عبيدة السابق، فوجدنا أن استعمال المفرد والجمع خارج عن معنهما الأصلي. وقد يظن بعض الناس أن هذا الاستعمال خطأ وشاذ، ولذلك من خلال هذه الدراسة أراد الباحث أن يبين أن هذا الاستعمال غير خطأ ولم يكن ذلك الاستعمال شاذاً ولكن هناك أسرار بلاغية وراء هذا الاستعمال سماه أبو عبيدة وابن قتيبة مجازاً. وجعله ابن جني من جانب الحمل على المعنى³.

إن هذا الاستعمال يمثل انحرافاً أسلوبياً عن مسار الخطاب المألوف، وهو بذلك يحقق تفعيلاً بلاغياً للخطاب القرآني وتنبثق منه بنى دلالية عميقة تسهم في تفعيل وعي المتلقي لأهميته البلاغية ضمن قنواته التواصلية. ومن أجل هذه الدوافع أثر الباحث الخوض في مضمار القرآن الكريم لدراسة هذه الظاهرة في عدد من الآيات القرآنية عارضين لآراء اللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، كاشفين عن أسرارها البلاغية ومستجلين قيمها في النص القرآني.

¹ Abu al-Fadl Al-Suyuti, *Hamu' Al-Hawami'*, Juz. 1 (Beirut: Darul Kutubil I'lmiah, 1998), h. 166.

² Abu Ubaidah Al-Jarrah, *Majaazul Qur'an*, Juz. 1 (Cairo: Maktabatul Khaniji), h. 18-19.

³ Utsman Ibnu Jinni, *Al-Khasais*, Juz. 2 (Beirut: Alamul Kutub), h. 411.

منهجية البحث

تستخدم هذه الدراسة نهج الظواهر، ومنهج تحليل أسلوب البنيوية اللغوية وصفي نوعي. جمع البيانات باستخدام طريقة التوثيق من المصدر الأساسي وهو القرآن الكريم، والمصادر الثانوية وهي المصادر التي تحتوي على المعلومات المتعلقة بالمصدر الأساسي، ككتب التفاسير، والكتب اللغوية، والبلاغية، والمقالات، والكتب الأخرى. وطريقة جمع البيانات هي التسجيل والملاحظة من المصدر الأساسي وتحليل البيانات منطقيًا على أساس المنطق الاستقرائي.

نتيجة البحث ومناقشتها

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات القرآنية التي تستعمل المفرد والجمع في غير معناهما الحقيقي، وقد اقتضت مادة البحث أن يقسم البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: استعمال المفرد في معنى الجمع⁴

استعمل العرب المفرد مرادًا به الجمع، وقد ورد ذلك في عدة آيات من القرآن الكريم:

﴿ أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة البقرة: 285).

﴿... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ... ﴾ والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعدا. قال ابن قتيبة: " (أحد) في معنى جميع، كأنه قال: لا نفرق بين رسله، فنؤمن بواحد ونكفر ببعض".⁵

﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (سورة الحاقة: 47) فـ ((حَاجِزِينَ)) صفة لاحد، لان معناه الجمع.⁶

⁴ Baso Pallawagau and Abdul Muiz Amir, 'Using Singular In The Plural Sense (Study In The Quranic Verses And The Words Of The Arabs)', 4.1 (2018), 54-64
<https://doi.org/http://dx.doi.org/10.31332/lkw.v4i1.648>.

⁵ Abu Muhammad Ibnu Qutaibah, *Tafsir Gharibil Qur'an* (Beirut: Darul Kutubil I'lmiah, 1978), h. 100.

⁶ Syamsuddin Al-Qurtubi, *Al-Jami' Liahkamil Qur'an*, Juz. 3 (Cairo: Darul Kutubil Mishriyyah, 1964), h. 429.

﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ (سورة النساء: 4)

قال سيبويه: ومثل ذلك في الكلام قوله تبارك وتعالى ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾، و﴿ قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا ﴾، وإن شئت قلت: أَعَيْنًا وَأَنْفُسًا.⁷

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء: 69)

قال الفراء: إنما وحد الرفيق وهو صفة لجمع؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع. فلذلك قال (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) ولا يجوز في مثله من الكلام أن تقول: حسن أولئك رجلا، ولا قبح أولئك رجلا، إنما يجوز أن توحد صفة الجمع إذا كان اسما مأخوذا من فعل ولم يكن اسما مصرحا مثل رجل وامرأة.⁸

﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ (سورة الحجر: 68)

فلفظ ((ضيفي)) مفرد يراد به الجمع أي ضيافي. قال الأخفش: "لأنَّ ((الضَيْفَ))": يكون واحداً ويكون جماعة.⁹

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (سورة الحج: 5)

قال أبو عبيدة: "﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ مجازه أنه في موضع أطفال والعرب تضع لفظ الواحد في معنى الجميع.¹⁰

⁷ Abu Bishr Sibawaih, *Al-Kitab*, Juz. 1, 3rd edn (Cairo: Maktabatul Khanijy, 1988), h. 21.

⁸ Abu Zakariya Al-Farra, *Ma'anil Qur'an*, Juz. 1 (Cairo: Darul Misriyah Litta'liif Wal Tarjamah), h. 268.

⁹ Al-Akhfash Mas'adah, *Ma'anil Qur'an*, Juz. 2 (Cairo: Maktabatul Khaniji, 1990), h. 45.

¹⁰ Al-Jarrah, *Majaazul Qur'an*, Juz. 2, h. 44.

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (سورة الفرقان: 74)

قال الأخفش: "ف(الإمام) ها هنا جماعة، كما قال ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ﴾ (سورة الشعراء: 77)، ويكون على الحكاية كما يقول الرجل إذا قيل له: ((مَنْ أَمِيرُكُمْ)) قال: ((هؤلاء أَمِيرُنَا)).¹¹

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خِشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة المنافقون: 4)

﴿ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ ((العدو)) مفرد يراد به الجمع، أي هم أعداء. قال القرطبي: أن عدوا يفرد في موضع الجمع، قال الله عز وجل: ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (سورة الكهف: 50) بمعنى أعداء، وقال تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾. وقال ابن فارس: العدو اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والتأنيث، وقد يجمع.¹²

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (سورة النجم: 26)

استعمل لفظ ((مَلَك)) في معنى الجمع وهو مفرد. قال الفراء: "فجمع، وإثما ذكر ملكًا واحدًا، وذلك أن ((كم)) تدلّ على أنه أراد جمعًا، والعرب تذهب بأحد وبالواحد إلى الجمع في المعنى يقولون: هل اختصم أحد اليوم. والاختصام لا يكون إلا للاثنين، فما زاد.¹³

﴿ سَمَّزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ ﴾ (سورة القمر: 45)

قال الفراء: ((الدُّبْر)) فوحد، ولم يقل: الأدبار، وكلّ جائز صواب أن تقول: ((ضربنا منهم الرؤوس والأعين))، و((ضربنا منهم الرأس واليد))، وهو كما تقول: ((إنه لكثير الدينار والدرهم، تريد الدنانير والدراهم)).¹⁴

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (سورة القمر: 54)

¹¹ Mas'adah, *Ma'anil Qur'an*, Juz. 3, h. 16.

¹² Al-Qurtubi, *Al-Jami' Liahkamil Qur'an*, Juz. 1, h. 230.

¹³ Al-Farra, *Ma'anil Qur'an*, Juz. 3, h. 99.

¹⁴ Al-Farra, *Ma'anil Qur'an*, Juz. 3, h. 110.

قال الزجاج: المعنى في جنات وأنهار، والاسم الواحد يدل على الجميع، فيجتزأ به من الجميع.¹⁵

المبحث الثاني: استعمال الجمع في معنى المثنى.

استعمل العرب الجمع وهم يريدون المثنى، قال سيبويه: وسألت الخليل رحمه الله عن: ما أحسن وجوههما، فقال: لأنّ الاثنين جميع وهذا بمنزلة قول الاثنين نحن فعلنا ذلك ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون منفردا وبين ما يكون شيئا من شيء¹⁶، فقد جاء ذلك في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة النساء: 11)

قال أبو عبيدة: أخوان فصاعداً، لأن العرب تجعل لفظ الجميع على معنى الإثنين.¹⁷

قال تعالى: ﴿ وَالْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ (سورة الأعراف: 150)

قال ابن قتيبة: "جاء في التفسير أنهما لوحان".¹⁸

قال تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة النور: 26)

قال ابن قتيبة: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني عائشة وصفوان ابن المعطل¹⁹، ونقل الألويسي رأي الفراء في الآية فقال: وقال الفراء: إشارة إلى الصديقة وصفوان والجمع يطلق على ما زاد على الواحد.²⁰

قال تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (سورة التحريم: 4)

قال أبو حيان: "وأتى بالجمع في قوله: ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾، وحسن ذلك إضافته إلى مثنى، وهو ضميرهما، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالاً من المثنى، والتثنية دون الجمع وهذا كان

15 Abu Ishaq Al-Zajjaj, *Ma'ani Qur'an Wa'irabuh*, Juz. 5, 1st edn (Beirut: A'alamul Kutub, 1988), h. 93.

16 Sibawaih, *Al-Kitab*, Juz. 2, h. 48.

17 Al-Jarrah, *Majaazul Qur'an*, Juz 1, h. 118.

18 Abu Muhammad Ibnu Qutaibah, *Ta'wilu Musykilil Qur'an* (Cairo: Dar al-Turats, 1973), h. 283.

19 Ibnu Qutaibah, *Ta'wilu Musykilil Qur'an*, h. 284.

20 Abu al-Tsana Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 18 (Beirut: Dar Ihya al-Turats al-'Arabi), h. 131.

القياس، وذلك أن يعبر بالمتنى عن المتنى، لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع، لأن التثنية جمع في المعنى.²¹

المبحث الثالث: استعمال الجمع في معنى المفرد²²

ورد استعمال الجمع مرادًا به المفرد في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَيْمُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة هود: 13-14)

قال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: ﴿لَكُمْ فَاعْلَمُوا﴾ بعد قوله: قُلْ؟ قلت: معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين، لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين كانوا يتحدّونهم.²³

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (سورة المؤمنون: 99)

خاطب الله بلفظ الجمع في ﴿ارْجِعُونِ﴾، قال الفراء: فجعل الفعل كأنه لجميع، وإنما دعا ربه.²⁴

قال تعالى: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (سورة التوبة: 66)

قال قتادة: كان رجل من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي صلى الله عليه وسلم، ويسير مجانبا لهم، فسماه الله طائفة وهو واحد.²⁵

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (سورة النمل: 35)

قال الفراء: "وقالت ((بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)) وكان رسولها - فيما ذكروا - امرأة واحدة، فجمعت. وإنما هو رسول، لذلك قال ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ (سورة النمل: 36) يريد: فلما جاء الرسول

²¹ Abu Hayyan Al-Garnathy, *Al-Bahrul Muhit*, Juz. 8 1st edn (Beirut: Darul Kutubil I'lmiyah, 1993), h. 286.

²² Baso Pallawagau, 'استعمال صيغة الجمع وإرادة المتنى أو المفرد', *Jurnal Adabiyah*, 18.HUMANITIES (2018), 1-16 <https://doi.org/https://doi.org/10.24252/JAd.v17i118i1aI>.

²³ Abul Qasim Al-Zamakhshari, *Al-Kasshaf*, Juz. 2 (Beirut: Dar Ihya al-Turats al-'Arabi), h. 363.

²⁴ Al-Farra, *Ma'ani Qur'an*, Juz. 2, h. 237.

²⁵ Ibnu Qutaibah, *Ta'wilu Musykilil Qur'an*, h. 283.

سليمان، وهي في قراءة عبد الله ((فلما جاءوا سليمان)) لما قال ((المُرْسَلُونَ)) صلح ((جاءوا)) وصلح ((جاء)) لأن المرسل كان واحدا. يدلّ على ذلك قول سليمان ((ارْجِعْ إِلَيْهِمْ))²⁶.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الحجرات: 4)

قال ابن قتيبة: وكان قتادة يقول: هو رجل واحد ناداه: يا محمد، إن مدحي زين، وإن شتني شين. فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((ويلك، ذلك الله جل وعز)) ونزلت الآية²⁷.

قرينة إرادة المعنى البلاغي في استعمال المفرد والجمع

من المقرر عند علماء اللغة أن الأصل في الكلام حملة على معناه الحقيقي الظاهري إلى أن تأتي قرينة تصرفه عن ذلك، وهذه القاعدة يدخل ضمنها لفظ المفرد والمثنى والجمع؛ إذ الأصل أن يحمل على دلالته الحصرية إلى أن تأتي القرينة الصارفة عن ذلك. وهذا ما نص عليه العلماء.

وقد يستعمل القرآن الكريم المفرد في موطن، ويستعمل المثنى في موطن آخر يبدو شبيهاً بالأول، وقد يستعمل جمعاً في موطن ويستعمل جمعاً آخر للمفردة نفسها في موطن آخر، وقد يستعمل المفرد في موطن هو من موطن الجمع، وما إلى ذلك من المواطن التي تستدعي التأمل والنظر.²⁸

فما القرائن التي يمكن من خلالها صرف لفظ المفرد والمثنى والجمع عن معناه الحقيقي الظاهر إلى معناه البلاغي المجازي؟ ومن خلال استقراء عدد من الآيات القرآنية وتعليقات العلماء عليها، وجدت أن هناك عددًا من القرائن التي استدل بها العلماء على إرادة معنى البلاغي للمفرد والمثنى والجمع دون المعنى الحقيقي، مع التنبيه على إمكانية اجتماع أكثر من قرينة في النص الواحد، وقد عرضت هذه القرائن مع التمثيل عليها من النصوص القرآنية، وهذه القرينة قد تكون موجودة في الكلام فتسمى ((قرينة لفظية))، وقد تكون غير ملفوظ بها فتسمى ((قرينة غير لفظية)) أو ((قرينة معنوية)).²⁹

²⁶ Al-Farra, *Ma'anil Qur'an*, Juz. 2, h. 288.

²⁷ Muhammad bin Jarir Al-Tabari, *Jamiu'ul Bayan Fi Ta'wilil Qur'an*, Juz. 22 (Beirut: Muassasatul Risalah, 2000), h. 284.

²⁸ Fadil Al-Samirai, *Balagatul Kalimati Fi Al-Ta'biril Qur'ani* (Cairo: Al-'Atik Lisina'atil Kitab, 2006), h. 88.

²⁹ Abdu Rabbih, *Dirasat Fil Balagatil 'Arabiyah*, h. 100.

القرينة اللفظية:

السياق والمقام: وهو أن يدل سياق الكلام على أن المراد غير المعنى الحقيقي، بأن يكون فيه قرينة لفظية سابقة عليه أو متأخرة عنه.³⁰ ، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (سورة التحريم: 4)، أتى بالجمع في قوله ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ ومعناه ((قلباكما))، بقرينة لفظية في قوله ((إن تتوبا)) وفي قوله ((وإن تظاهرا))، قال الخطيب: قوله تعالى: ﴿قلوبكما﴾ من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى استثقلاً لمجيء تثنيته لو قيل: ((قلباكما))، ومن شأن العرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما لأنه لا يشكل.³¹

وكقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة البقرة: 285)، لفظ ((أحد)) في قوله تعالى: ﴿...لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾ مفرد في معنى الجمع بقرينة لفظية في قوله ﴿...لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ...﴾، لأن التفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعداً، قال الواحدي: ((بين)) تقتضي اثنين فصاعداً، وإنما جاز مع ((أحد)) وهو واحد في اللفظ؛ لأن ((أحدًا)) يجوز أن يؤدي عن الجميع.³²

القرينة المعنوية:

قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة النور 26)، قوله ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ جمع في معنى التثنية بقرينة معنوية مفهومة من أسباب النزول من قصة الإفك، نقل الألووسي رأي الفراء في الآية فقال: "وقال الفراء: إشارة إلى الصديقة وصفوان والجمع يطلق على ما زاد على الواحد".³³

³⁰ Ibnu Amir Al-Haj, *Al-Taqrir Wal-Tahrir Fii 'Ilmil Ushul*, Juz. 1 (Beirut: Dar al-Fikr, 1996), h. 353.

³¹ Al-Khatib Al-Sharbiny, *As-Sirajul Munir*, Juz. 4, 1st edn (Beirut: Darul Kutubil I'Imiyah, 2004), h. 353.

³² Abul Hasan Al-Wahidi, *Al-Tafsirul Al-Basit*, Juz. 4 (Riyadh: Fehrastu Maktabai al-Malik Fahd Al-Wataniyyah, 2009), hal. 530.

³³ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 18, h. 131.

الأسرار البلاغية في استعمال المفرد والجمع في غير معناهما الأصلي

بعد أن ذكرنا القرائن التي أشار إليها العلماء في استعمال المفرد والجمع في غير معناهما الحقيقي، لا بد لنا أن نذكر الأسرار البلاغية التي استعمل المفرد والجمع من أجلها في النصوص القرآنية:

استعمال الجمع عن المثنى والمفرد للتعميم:

تعارفت العرب على استعمال الجمع أرادوا به التعميم أو غيره من وجوه البلاغة دون إرادة معناها الحقيقي الحصري، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ (سورة النساء: 11) أي أخوان فصاعداً، لأن العرب تجعل لفظ الجمع على معنى الإثنين³⁴ جاء لفظ ((إخوة)) في معنى ((أخوين)) للدلالة على معنى العموم من أخوين فصاعداً، سواء كان الإخوة أشقاء، أو للأب، أو للأم، قال القرطبي: الإخوة يحجبون الام عن الثلث إلى السدس، وهذا هو حجب النقصان، وسواء كان الإخوة أشقاء أو للأب أو للأم، ولا سهم لهم. وروي عن ابن عباس أنه كان يقول: السدس الذي حجب الإخوة الام عنه هو للإخوة. وروي عنه مثل قول الناس انه للأب. قال قتادة: وإنما أخذه الأب دونهم، لأنه يموتهم ويولي نكاحهم والنفقة عليهم. وأجمع أهل العلم على أن أخوين فصاعداً ذكرانا كانوا أو إناثاً من أب وأم، أو من أب أو من أم يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس، إلا ما روي عن ابن عباس أن الاثنين من الإخوة في حكم الواحد، ولا يحجب الام أقل من ثلاث. وقد صار بعض الناس إلى أن الأخوات لا يحجبن الام من الثلث إلى السدس، لأن كتاب الله في الإخوة وليست قوة ميراث الإناث مثل قوة ميراث الذكور حتى تقتضي العبرة الإلحاق. قال الكيا الطبري: ومقتضى أقوالهم ألا يدخلن مع الإخوة، فإن لفظ الإخوة بمطلقه لا يتناول الأخوات، كما أن لفظ البنين لا يتناول البنات. وذلك يقتضي ألا تحجب الام بالأخ الواحد والأخت من الثلث إلى السدس، وهو خلاف إجماع.³⁵

وفي قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة النور 26)، قوله ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ جمع في معنى التثنية والمراد عائشة وصفوان بن المعطل الذي قذف معها، وجاء

³⁴ Al-Jarrah, *Majaazul Qur'an*, Juz. 1, h. 118.

³⁵ Al-Qurtubi, *Al-Jami' Liahkamil Qur'an*, Juz. 5, h. 72.

استعمال الجمع هما لإفادة العموم، قال الزمخشري: ((أُولَئِكَ)) إشارة إلى الطيبين، وأنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم، وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب. ويجوز أن يكون ((أُولَئِكَ)) إشارة إلى أهل البيت، وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك.³⁶

وقال ابن عاشور: بعد أن برأ الله عائشة رضي الله عنها مما قال عصابة الإفك، فضحهم بأنهم ما جاؤا إلا بسوء الظن واختلاق القذف وتوعدهم وهددهم، ثم تاب على الذين تابوا، أنحى عليهم ثانية براءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أن تكون له أزواج خبيثات؛ لأن عصمته وكرامته على الله يأبى الله معها أن تكون أزواجه غير طيبات. فمكانة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كافية في الدلالة على براءة زوجه وطهارة أزواجه كلهن.³⁷

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾، (سورة النمل: 35-36) جاء لفظ الجمع ((المرسلون)) في معنى الواحد لإرادة التعميم، قال الطبري: إن قال قائل: وكيف قيل: ((فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ)) فجعل الخبر في مجيء سليمان عن واحد، وقد قال قبل ذلك: ((فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)) فإن كان الرسول كان واحداً، فكيف قيل ((بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)) وإن كانوا جماعة، فكيف قيل: ((فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ))، قيل: هذا نظير ما قد بينا قبل من إظهار العرب الخبر في أمر كان من واحد على وجه الخبر عن جماعة إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه، يُشار إليه بعينه، فسمي في الخبر. وقد قيل: إن الرسول الذي وجّهته ملكة سبأ إلى سليمان كان امراً واحداً، فلذلك قال: ((فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ)) يُراد به: فلما جاء الرسول سليمان؛ واستدلّ قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمان للرسول: ((ارْجِعْ إِلَيْهِمْ)) وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله، فلما جاءوا سليمان على الجمع، وذلك للفظ قوله: ((بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)) فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى.³⁸

³⁶ Al-Zamakhshari, *Al-Kasshaf*, Juz. 3, h. 229.

³⁷ Muhammad Ibnu 'Ashur, *Al-Tahrir Wat-Tanwir*, Juz. 18 (Tunisia: Al-Dar al-Tunisia, 1984), h. 35-

36.

³⁸ Al-Tabari, *Jamiu'ul Bayan Fi Ta'wilil Qur'an*, Juz. 18, h. 458.

وقال الألوسي: ((فلما جاء سليمان)) في الكلام حذف، أي فارسلت الهدية فلما جاء الخ.، وضمير ((جاء)) وجوز أن يكون لما أهدت إليه والأول أولى، وقرأ عبد الله ((فلما جاؤا))، أي ((المرسلون))، قال ((أتمدونن بمال)) خطاب للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب، واطلاقا للجمع على الاثنين، وجوز أن يكون للرسول ومن معه وهو أوفق بقراءة عبد الله، ورجح الأول لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ المستفادين من الهمة على ما قيل، وتعميمهما لبليقيس وقومها.³⁹

استعمال الجمع عن المثنى والمفرد للمبالغة:

اشتهر عند العرب استعمال الجمع أرادوا به التكثير أو التعظيم أو الشدة أو غيره من المعاني البلاغية دون إرادة المعنى الحقيقي، كاستعمال الجمع في معنى الشدة في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (سورة الأعراف: 150) قال ابن قتيبة: "جاء في التفسير أنهما لوحان"⁴⁰. استعمل لفظ ((الألواح)) في معنى ((اللوحين)) للدلالة على معنى الشدة، قال الألوسي: وضعها على الأرض كالطرح لها ليأخذ برأس أخيه مما عراه من فرط الغيرة الدينية. وكان عليه السلام شديد الغضب لله سبحانه. فقد أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم أنه عليه السلام كان إذا غضب، اشتعلت قلنسوته ناراً. وقال القاضي ناصر الدين: أي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين.⁴¹

وورد استعمال الجمع في القرآن الكريم مراداً به المفرد للتعظيم، كاستعمال ضمير الجمع يراد به الواحد للتعظيم⁴²، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة هود: 13-14) قال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: ﴿لَكُمْ فَاعْلَمُوا﴾ بعد قوله: قُلْ؟ قلت: معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين، لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين كانوا يتحدثونهم، وقد قال في

³⁹ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz 19, h. 200.

⁴⁰ Ibnu Qutaibah, *Ta'wilu Musykilil Qur'an*, h. 283.

⁴¹ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 6, h. 370.

⁴² Muhammad Abdul Khaliq Udlimah, *Dirasat Liustubil Qur'anil Karim*, Juz. 1 (3) (Cairo: Darul Hadits), h. 75.

موضع آخر: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ﴾ (سورة القصص: 50)، ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -⁴³.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (سورة المؤمنون: 99) خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم في ((ارجعون))، قال الزمخشري: ((حَتَّى)) يتعلق بـ((يصفون))، أي: لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقف. والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم، مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم، أو على قوله: ((وانهم لكاذبون))، خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم.⁴⁴

وقال أبو حيان: وجمع الضمير في ((ارْجِعُونِ))؛ إما مخاطبة له تعالى مخاطبة الجمع تعظيماً، كما أخبر عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع.⁴⁵

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور: 2) استعملت ((طائفة)) في معنى الواحد أو الاثنين فصاعداً في هذه الآية للتكثير لحصول التشهير ولزيادة التشنيع، قال الألوسي: واختلف في هذه الطائفة فاخرج عبد بن حميد وغيره عن ابن عباس أنه قال: ((الطائفة)) الرجل فما فوقه وبه قال أحمد. وقال عطاء، وعكرمة، واسحق بن راهويه: إثنان فصاعداً، وهو القول المشهور لمالك. وقال قتادة، والزهري: ثلاثة فصاعداً. وقال الحسن: عشرة. وعن الشافعي، وزيد: أربعة وهو قول لمالك، قال الخفاجي: وتحقيق المقام أن الطائفة في الأصل اسم فاعل مؤنث من الطواف الدوران أو الإحاطة، فهي أما صفة نفس أي نفس طائفة فتطلق على الواحد، أو صفة جماعة أي جماعة طائفة، فتطلق على ما فوقه، فهي كالمشترك بين تلك المعاني فتحمل في كل مقام على ما يناسبه.

وذكر الراغب أنها إذا أريد بها الواحد، يصح أن تكون جمعاً كني به عن الواحد، ويصح أن تكون مفرداً والتاء فيها كما في رواية، وفي حواشي العضد للهروي يصح أن يقال للواحد طائفة ويراد نفس طائفة فهي من الطواف بمعنى الدوران. وفي ((شرح البخاري)) حمل الشافعي ((الطائفة)) في مواضع من القرآن على أوجه مختلفة بحسب المواضع فهي في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ

⁴³ Al-Zamakhshari, *Al-Kasshaf*, Juz. 2, h. 363.

⁴⁴ Al-Zamakhshari, *Al-Kasshaf*, Juz. 3, h. 205.

⁴⁵ Al-Garnathy, *Al-Bahrul Muhit*, Juz. 6, h. 387-388.

فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴿ (سورة التوبة: 122)، واحد فأكثر، واحتج به على قبول خبر الواحد وفي قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ﴾ (سورة النور: 2) أربعة وفي قوله سبحانه: ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ (سورة النساء: 102) ثلاثة، وفرقوا في هذه المواضع بحسب القرائن، أما في الأولى فلأن الانذار يحصل به، وأما في الثانية فلأن التشنيع فيه أشد، وأما في الثالثة فلضمير الجمع بعد قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ (سورة النساء: 102) وأقله ثلاثة، وكونها مشتقة من الطواف لا ينافيه؛ لأنه يكون بمعنى الدوران، أو هو الأصل وقد لا ينظر إليه بعد الغلبة، فلذا قيل: إن تاءها للنقل انتهى ولا يخلو عن بحث. والحق أن المراد بالطائفة هنا جماعة يحصل بهم التشهير.⁴⁶

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الحجرات: 4)، قوله ((إن الذين ينادونك)) نادوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- باستعمال صيغة الجمع تعظيماً وإجلالاً، قال الزمخشري: ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له، فناداه بعض من وراء هذه، وبعض من وراء تلك، وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ولكنها جمعت إجلالاً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولمكان حرمة. والفعل وإن كان مسنداً إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم، وكان الباكون راضين، فكأنهم تولوه جميعاً، فقد ذكر الأصم: أن الذي ناداه عينه بن حصن والأقرع بن حابس.⁴⁷

استعمال المفرد عن الجمع للتقليل والتصغير والتحقير.

استعمل المفرد في معنى الجمع للتقليل والتصغير والتحقير في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (سورة الحج: 5)، قال

⁴⁶ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 13, h. 320.

⁴⁷ Al-Zamakhshari, *Al-Kasshaf*, Juz. 4, h. 359-360.

أبو عبيدة: "﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ مجازه أنه في موضع أطفال والعرب تضع لفظ الواحد في معنى الجميع.⁴⁸

يظهر لنا استعمال المفرد في معنى الجمع في قوله ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ إذ ورد الحال بصيغة المفرد ((طفلاً)) لا بصيغة الجمع ((أطفالاً)) الموافقة لضمير الجمع العائد على المخاطبين في ((نخرجكم)).

ويرى ابن جني في دلالة هذا الاستعمال: وحسن لفظ الواحد هنا، لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره، فلاق به ذكر الواحد لذلك، لقلته عن الجماعة، ولأن معناه أيضاً ((نخرج كل واحد منكم طفلاً))، وهذا مما إذا سئل الناس عنه قالوا: وضع الواحد موضع الجماعة اتساعاً في اللغة، وأنسوا حفظ المعنى ومقابلة اللفظ به؛ لتقوى دلالة عليه، وتنضم بالشبه إليه.⁴⁹

فالمواءمة بين معنى ((الصغر)) المدلول عليه باللفظة في هذا السياق الراصد لمراحل حياة الإنسان ومعنى القلة المستوحى من صيغة الإفراد هي سر استعمال المفرد عن الجمع في النص القرآني.

إن العرب قد تستعمل كلمة ((طفل)) للمذكر والمؤنث، المفرد والمثنى والجمع، فتقول: جارية طفل، وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل، وغللمان طفل، كما تستعملها على القياس، فتقول: طفل، وطفلة، وطفلان، وطفلتان، وأطفال، وطفلات، فاستعمل ((الطفل)) للجمع معروف عند العرب وبه جرت ألسنتهم، أما سبب تخصيص كل موطن بالاستعمال الذي ورد فيه، فهذا يظهر من السياق.⁵⁰

استعمال المفرد عن الجمع للعموم

استعمل المفرد مراداً به الجمع في سياق النفي يفيد العموم والكثرة كما ورد في قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ

⁴⁸ Al-Jarrah, *Majaazul Qur'an*, Juz. 2, h. 44.

⁴⁹ Utsman Ibnu Jinni, *Al-Muhtasab Fi Tabyini Wujuhi Syawadzil Qiraat Wal-Idlahi 'Anhu*, Juz. 2 (Cairo: Wizaaratul Auqaaf-Al-Majlisul 'Alaa Lissyuni Islamiyah, 1994), h. 267.

⁵⁰ Al-Samirai, *Balagatul Kalimati Fi Al-Ta'biril Qur'ani*, h. 90.

أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ (سورة البقرة: 285)، قال ابن الأنباري: ((لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)) أضاف بين إلى أحد؛ لأن المراد به ها هنا الكثرة، لأن أحداً في سياق النفي يدل على الكثرة كقوله تعالى: ﴿...وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾، ثم قال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا...﴾ (سورة البقرة: 102)، ونظائره كثيرة في كتاب الله وكلام العرب. ولو كان المراد به الواحد لما جاز إضافة بين إليه، لأنها لا تضاف إلى الواحد، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال: ((المالُ بين زيدٍ)) حتى يقول: ((وعمرو)).⁵¹

وقال أبو حيان: معنى الآية: لا يفرق أحد من رسله وبين غيره في النبوة. انتهى. وفيه بعض تلخيص. ولا يعني من فسرهما: بجميع، أو قال: هي في معنى الجميع، إلا أنه يريد بها العموم نحو: ما قام أحد، أي: ما قام فرد فرد من الرجال، مثلاً، ولا فرد فرد من النساء، لا أنه نفي القيام عن الجميع، فيثبت لبعض. ويحتمل عندي أن يكون مما حذف فيه المعطوف لدلالة المعنى عليه، والتقدير: لا يفرق بين أحد من رسله وبين أحد، فيكون أحد هنا بمعنى واحد، لا أنه اللفظ الموضوع للعموم في النفي.⁵²

وقال الألوسي: فقد ذكر في ((الانتصاف)) أن النكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم لفظاً عموماً شمولياً، حتى ينزل المفرد فيها منزلة الجمع في تناوله الأحاد مطابقة، لا كما ظنه بعض الأصوليين من أن مدلولها بطريق المطابقة في النفي كمدلولها في الإثبات، وجعل هذا التعدد والعموم وضعاً هو المسوّغ لدخول ((بين)) عليها هنا.⁵³

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء: 69)، استعمل المفرد مراداً به الجمع، ((رفيقاً)) في الآية الكريمة نائب عن ((الرفقاء)) للعموم في الرفق، فهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع، ونقل القرطبي قول الأخفش بأن ((رفيقاً)) منصوب على الحال وهو بمعنى رفقاء، وقال: انتصب على التمييز فوحد لذلك، فكأن المعنى وحسن كل واحد منهم رفيقاً.⁵⁴

⁵¹ Abu Bakr Ibnul Anbari, *Al-Bayan Fi Gharibi 'Irabil Qur'an*, Juz. 1 (Cairo: Al-Haiah al-Misriyah al-Ammah lil Kitab, 1980), h. 188.

⁵² Al-Garnathy, *Al-Bahrul Muhit*, Juz. 2, h. 380.

⁵³ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 1, h. 396.

⁵⁴ Al-Qurtubi, *Al-Jami' Liahkamil Qur'an*, Juz. 15, h. 272.

وقال الألوسي: ((رفيقاً)) أي صاحباً وهو مشتق من الرفق وهو لين الجانب واللطفة في المعاشرة قولاً وفعلاً والاشارة يحتمل أن تكون الى النبيين ومن بعدهم، وما فيها من معنى البعد لما مرّ مراراً، و((رفيقاً)) حينئذ إما تمييز أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين، أو حال كونهم رفقاء لهم، ولم يجمع لأنّ فعياً يستوى فيه الواحد وغيره، أو أكتفاءً بالواحد عن الجمع في باب التمييز لفهم المعنى.⁵⁵

استعمال المفرد عن الجمع للمبالغة

ورد استعمال المفرد في معنى الجمع لإرادة المبالغة في القوة كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (سورة النساء: 4)، قال سيبويه: ومثل ذلك في الكلام قوله تبارك وتعالى ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾، و«قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا»، وإن شئت قلت: أَعْيُنًا وَأَنْفُسًا.⁵⁶ وسر استعمال ((نفس)) في معنى ((أنفس)) للدلالة على قوة هذا الطيب، قال ابن عاشور: وجيء بلفظ ((نفساً)) مفرداً مع أنّه تمييز نسبة ((طبن)) إلى ضمير جماعة النساء؛ لأنّ التمييز اسم جنس نكرة يستوي فيه المفرد والجمع. وأسند الطيب إلى ذوات النساء ابتداءً، ثم جيء بالتمييز للدلالة على قوة هذا الطيب على ما هو مقرّر في علم المعاني، من الفرق بين ((واشتعل الرأس شيباً)) وبين ((اشتعل شيب رأسي))، ليعلم أنه طيب نفس لا يشوبه شيء من الضغط والإلجاء.⁵⁷

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة المنافقون: 4)، «العدو» مفرد يراد به الجمع، أي هم أعداء. استعمال المفرد عن الجمع هنا لإرادة المبالغة في العداوة، قال أبو حيان: وتخريج ((هُمُ الْعَدُوُّ)) على أنه مفعول ثانٍ لـ((يحبسون)) تخريج متكلف بعيد عن الفصاحة، بل المتبادر إلى الذهن السليم أن يكون ((هُمُ الْعَدُوُّ)) إخباراً منه تعالى بأنهم وإن أظهروا الإسلام وأتباعهم، هم المبالغون في عداوتك؛ ولذلك جاء بعده أمره تعالى إياه بحذرهم فقال: ((فَاحْذَرْهُمْ))، فالأمر بالحذر متسبب عن إخباره بأنهم هم العدو.⁵⁸

⁵⁵ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 5, h. 78.

⁵⁶ Sibawaih, *Al-Kitab*, Juz. 1, h. 210.

⁵⁷ Ibnu 'Ashur, *Al-Tahrir Wat-Tanwir*, Juz. 4, h. 232.

⁵⁸ Al-Garnathy, *Al-Bahrul Muhit*, Juz. 8, h. 269.

استعمال المفرد عن الجمع للإيجاز ورعاية الفاصلة

ورد استعمال المفرد نائبًا عن الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان: 74)، فـ((إمامًا)) في معنى ((أئمة)) لأنه وقع خبرًا عن ضمير جماعة المتكلمين لإرادة الإيجاز ومراعاة فواصل الآية. قال الألوسي: و((إمام)) يستعمل مفردًا وجمعًا كـ((هَجَان))، والمراد به هنا الجمع، ليطابق المفعول الأول لـ((جعل)) واختير على أئمة؛ لأنه أوفق بالفواصل السابقة واللاحقة، وقيل هو مفرد، وأفرد مع لزوم المطابقة؛ لأنه اسم جنس فيجوز إطلاقه على معنى الجمع مجازًا، بتجريده من قيد الوحدة، أو لأنه في الأصل مصدر وهو لكونه موضوعًا للماهية شامل للقليل والكثير وضعًا، فاذا نقل لغيره قد يراعى أصله ولأن المراد: واجعل كل واحد منا، أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم. وفي إرشاد العقل السليم بعد نقل ما ذكر أن مدار التوجيه على أن هذا الدعاء صدر عن الكل على طريق المعية وهو غير واقع، أو عن كل واحد وهو غير ثابت، فظاهر أنه مصدر عن كل واحد قول واجعلي للمتقين إمامًا، فعبّر عنهم للإيجاز بصيغة الجمع وأبقي إمامًا على حاله.⁵⁹

ومن استعمال المفرد في معنى الجمع لرعاية الفواصل ومشكلة القرائن قوله تعالى: ﴿سَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ (سورة القمر: 45)، قال الألوسي: ((ويُولُونَ الدُّبْرَ)) أي الأدبار، وقد قريء كذلك والإفراد لإرادة الجنس الصادق على الكثير مع رعاية الفواصل ومشكلة القرائن، أو لأنه في تأويل يولي كل واحد منهم دبره، وقد كان هذا يوم بدر وهو دلائل النبوة لأن الآية مكية.⁶⁰

استعمال المفرد عن الجمع للتحقير والتوبيخ

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (سورة النجم: 26)، استعمل ((ملك)) في معنى ((ملائكة)) لتحقير شأنه أمام الله سبحانه وتعالى، وتوبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام. قال القرطبي: هذا

⁵⁹ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 19, h. 53.

⁶⁰ Al-Alusi, *Ruhul Ma'ani*, Juz. 27, h. 92.

توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى. فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له.⁶¹

الاستنتاج:

يمكن الباحث إبراز أهم نتائج هذه الدراسة وهي:

التنوع في استعمال المفرد والمثنى والجمع يؤدي وظائف أساسية في الخطاب القرآني من أهمها إعطاء المفرد حكم الجمع والعكس صحيح، أو جعل الجمع مثنى أو مفردًا لنكت بلاغية تتعلق بالمقام ووظائفه الأساسية.

الأصل عند اللغويين حمل اللفظ على معناه الحقيقي الأصلي الظاهري إلى أن تأتي قرينة صارفة إلى المعنى البلاغي. توصل البحث إلى قرينتين أساسيتين استدل بها العلماء في ترجيح المعنى البلاغي للمفرد والجمع على معناه الحقيقي، وهما القرينة اللفظية من سياق الكلام، والقرينة المعنوية.

الأسرار البلاغية أو الدلالات البلاغية في استعمال الجمع عن المثنى والمفرد تأتي للتعميم، والمبالغة، والتكثير والتعظيم.

استعمال المفرد عن الجمع يفيد التقليل والتصغير والتحقير والتوبيخ، وقد يفيد المبالغة والإيجاز ورعاية الفاصلة.

المراجع:

- Abdu Rabbih, Fauzi, *Dirasat Fil Balagatil 'Arabiyah* (Cairo: Maktabatu Kulliyati al-Dirasatil Islamiyat Bijaami'atil Azhar)
- Al-Alusi, Abu al-Tsana, *Ruhul Ma'ani* (Beirut: Dar Ihya al-Turats al-'Arabi)
- Al-Farra, Abu Zakariya, *Ma'anil Qur'an* (Cairo: Darul Misriyah Litta'liif Wal Tarjamah)
- Al-Garnathy, Abu Hayyan, *Al-Bahrul Muhit*, 1st edn (Beirut: Darul Kutubil I'lmiyah, 1993)
- Al-Haj, Ibnu Amir, *Al-Taqrir Wal-Tahrir Fii 'Ilmil Ushul* (Beirut: Dar al-Fikr, 1996)
- Al-Jarrah, Abu Ubaidah, *Majaazul Qur'an* (Cairo: Maktabatul Khaniji)

⁶¹ Al-Qurtubi, Juz. 17, h. 104.

- Al-Jurjani, Abdul Qahir, *Dalailul 'Ijaaz* (Cairo: Maktabatul Khaniji)
- Al-Qurtubi, Syamsuddin, *Al-Jami' Liahkamil Qur'an* (Cairo: Darul Kutubil Mishriyyah, 1964)
- Al-Samirai, Fadil, *Balagatul Kalimati Fi Al-Ta'biril Qur'ani* (Cairo: Al-'Atik Lisina'atil Kitab, 2006)
- Al-Sharbiny, Al-Khatib, *As-Sirajul Munir*, 1st edn (Beirut: Darul Kutubil I'lmiyah, 2004)
- Al-Suyuti, Abu al-Fadl, *Hamu' Al-Hawami'* (Beirut: Darul Kutubil I'lmiyah, 1998)
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, *Jamiu'ul Bayan Fi Ta'wilil Qur'an*, 1st edn (Beirut: Muassasatul Risalah, 2000)
- Al-Wahidi, Abul Hasan, *Al-Tafsirul Al-Basit* (Riyadh: Fahrastu Maktabai al-Malik Fahd Al-Wataniyyah, 2009)
- Al-Zajjaj, Abu Ishaq, *Ma'anil Qur'an Wa'irabuh*, 1st edn (Beirut: A'alamul Kutub, 1988)
- Al-Zamakhshari, Abul Qasim, *Al-Kasshaf* (Beirut: Dar Ihya al-Turats al-'Arabi)
- Ibnu 'Ashur, Muhammad, *Al-Tahrir Wat-Tanwir* (Tunisia: Al-Dar al-Tunisia, 1984)
- Ibnu Jinni, Utsman, *Al-Khasais* (Beirut: Alamul Kutub)
- , *Al-Muhtasab Fi Tabyini Wujuhi Syawadzil Qiraat Wal-Idlahi 'Anhu* (Cairo: Wizaaratul Auqaaf-Al-Majlisul 'Alaa Lissy'u'unil Islamiyah, 1994)
- Ibnu Qutaibah, Abu Muhammad, *Ta'wilu Musykilil Qur'an* (Cairo: Dar al-Turats, 1973)
- , *Tafsir Gharibil Qur'an* (Beirut: Darul Kutubil I'lmiyah, 1978)
- Ibnul Anbari, Abu Bakr, *Al-Bayan Fi Gharibi 'Irabil Qur'an* (Cairo: Al-Haiyah al-Misriyah al-Ammah lil Kitab, 1980)
- Mas'adah, Al-Akhfash, *Ma'anil Qur'an* (Cairo: Maktabatul Khaniji, 1990)
- Pallawagau, Baso, 'استعمال صيغة الجمع وإرادة المثني أو المفرد', *Jurnal Adabiyah*, 18.HUMANITIES (2018), 1–16 <<https://doi.org/https://doi.org/10.24252/JAd.v17i118i1a1>>
- Pallawagau, Baso, and Abdul Muiz Amir, 'Using Singular in The Plural Sense (Study In The Quranic Verses and The Words of The Arabs)', 4.1 (2018), 54–64 <<https://doi.org/http://dx.doi.org/10.31332/lkw.v4i1.648>>
- Sibawaih, Abu Bishr, *Al-Kitab*, 3rd edn (Cairo: Maktabatul Khanijy, 1988)
- Udlaimah, Muhammad Abdul Khaliq, *Dirasat Liushlubil Qur'anil Karim* (Cairo: Darul Hadits)